

## السياق اللغوي وأثره في فقه الحديث النبوي- حديث:

” من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً“ نموذجاً

ياسر أحمد الشمالي (\*)

### ملخص

تناولت الدراسة بيان أهمية مراعاة سياق النص اللغوي من أجل الفهم الصحيح، وقد بينت الدراسة أن السياق مفهوم عام يراد به عدة أمور، منها معرفة ما قبل النص وما بعده، ومنها الأسلوب اللغوي الذي جاء به النص، ويقصد به نظم الكلام وتركيبه، من خلال النظر إلى موقع الكلمة في النص وأسلوب التعبير، حيث إن النصوص النبوية جاءت علي لسان أفصح من نطق بالضاد، ومن هنا تأتي أهمية القدرة اللغوية والتذوق اللغوي في فقه النصوص، وقد عرض الباحث لجهود الإمام الجرجاني في التنبيه لهذا الجانب، وقام الباحث بذكر مثال تطبيقي لحديث نبوي يحتاج الشارح له إلى معرفة السياق اللغوي الذي جاء فيه، مع مقارنته بنظائر ذلك في السنة النبوية، مع التحذير من سوء الفهم للنصوص بسبب إغفال السياق اللغوي.

الكلمات الدالة: السياق اللغوي، الحديث النبوي.

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي سيد الأنبياء والمرسلين، وعلي آله وصحبه أجمعين، وبعد: فإن ضوابط فهم النصوص النبوية عديدة، تكفل كثير من العلماء والباحثين ببيانها والتنبيه عليها من أجل منهج سديد في فهم السنة النبوية، ومن هذه الضوابط الدراسات التي تتعلق بالسياق لما لها من أثر في ترسيخ منهجية صحيحة في حسن الفهم والاستنباط وترشيد الدين، والسياق كلمة عامة لها مناح متعددة، منها: السياق الزماني، السياق المكاني، السياق الاجتماعي، السياق اللغوي، السياق النصي...، ولكل منحي منها دراسات تحليلية، وقد وجدت أن السياق اللغوي وعلاقته بفقه الحديث لم يعط حقه من البحث، فكانت هذه الدراسة، وقد جعلتها في مدخل وخمسة مطالب:

### مدخل: مشكلة البحث، وأهميته، والدراسات السابقة، وبيان مطالب البحث

**مشكلة البحث:** رأيت أن الحاجة ماسة لدراسة تتعلق بأثر مراعاة السياق اللغوي في فهم نصوص السنة، وذلك لما يلاحظ من أن كثيراً من طلبة العلم وبعض من يتصدي للاستنباط من نصوص السنة يفهمون كثيراً من كلام المصطفي - صلي الله عليه وسلم - معزولاً عن سياقه، غافلين أو جاهلين أن كلامه - صلي الله عليه وسلم - وهو أفصح من نطق بالضاد - ينسجم مع أساليب العرب في بيانها، مصداقاً لقوله تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) (سورة إبراهيم ٤) لهذا جاءت هذه الدراسة لتجيب علي بعض الأسئلة ذات الصلة وهي:

ما المقصود بالسياق اللغوي؟

هل السياق اللغوي له أثر في معني النص؟

عواقب إهمال السياق أثناء فهم النص والاستنباط منه؟

هل توجد نماذج تطبيقية لنصوص من السنة اختلف معناها باختلاف سياقها؟

### أهمية البحث

١ . تعد هذه الدراسة لبنة في الجهود المبذولة لوضع ضوابط سليمة لفهم نصوص السنة النبوية مستندة إلى المنهج النبوي الكريم المرشد إلى أهمية حسن الفهم، كما جاء في قوله عليه الصلاة والسلام (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)<sup>(١)</sup>، وهو نص واضح في أن الفقه هو الأساس، وأن من أحسن التفقه أحسن الدين، وقد نبه عليه الصلاة والسلام إلى تفاوت الناس في الفهم، وأن بعضهم أوعي من بعض وأقدر علي الاستنباط والتفقه: فقال (نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه إلي من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس فقيه)<sup>(٢)</sup>.

٢ . تسلط هذه الدراسة الضوء علي أهمية مراعاة الجانب اللغوي عند دراسة النصوص وتدبرها، وهو الأمر الذي يهمله كثير من طلبة العلم، فاللغة هي وعاء الوحيين من كتاب وسنة، ودون الالتفات إلى قواعد اللغة وأساليبها لن نستطيع أن نفهم نصوص السنة النبوية التي تزخر بكثير من الأساليب النحوية والبلاغية التي كان ينطق بها النبي - صلي الله عليه وسلم - وهو الذي بهر العرب بحسن أسلوبه وعذوبة منطقته وقدرته علي البيان وحسن التفهيم، وقد أخبر النبي - صلي الله عليه وسلم - عن نفسه أن الله اختصه بالألفاظ الموجزة كثيرة المعاني واضحة المقصود فقال:

( فضلت علي الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلي الخلق كافة، وختم بي النبيون).<sup>(٣)</sup>

### الدراسات السابقة وصعوبات البحث

(١) قسم أصول الدين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، تاريخ إستلام البحث، ٢٢\٦\٢٠٠٩، وتاريخ قبوله ١١\٢\٢٠١٠.

لم أعثر علي دراسة تتعلق بهذا الموضوع، إنما توجد دراسات متعددة تعني بنظرية السياق عموماً، وأنواع السياق - السياق المكاني، السياق التاريخي، السياق الاجتماعي،... إلخ. وأقرب ما يتصل بالموضوع، ورقة قدمها الأستاذ فاروق حمادة<sup>(٤)</sup> بعنوان: "مراعاة السياق وأثره في فهم السنة النبوية" انطلق فيها من ضرورة استحضار موضوع السياق في صعيد الفكر الإنساني، وفي صعيد الفكر الإسلامي العام والخاص.

و قسم السياق إلى عام وخاص، وأردف ذلك بالحديث عن السياق في القرآن الكريم بشيء من التفصيل، ثم تحدث عن تطبيقات السياق عند أهل الحديث، ونبه علي أن أكثر ميادين هذا العلم التي ورد فيها السياق هو ما يعرف بسبب ورود الحديث، مع أن السياق أوسع بكثير منه، وقد قدم أمثلة تبين استعمال المحدثين للسياق، كحديث تأبير النخل، ونقل الحديث للمسلسل، وغير ذلك.

وكلامه حفظه الله عن السياق فيه عموم، ودراستي هذه تركز علي السياق اللغوي في النص ذاته، دون التعرض لأنواع السياق الأخرى من سبب الورد والظروف الزمانية والاجتماعية والمكانية ونحو ذلك.

و توجد دراسات تتعلق بالسياق من ناحية أصول الفقه، أو تفسير القرآن الكريم، أسوق إليك عناوين بعض هذه الدراسات:

١. نظرية السياق - دراسة أصولية - نجم الدين قادر كريم الزنكي<sup>(٥)</sup>. و هو كتاب في أصول الفقه الإسلامي يدرس المقصود بالسياق في دراسات الأصوليين قديماً وحديثاً ويدرس كلك الأسباب التي من أجلها يأتي إعمال السياق، ومدى الاحتياج إليه وأثره في المعني، والمسالك التي تستكشف بها القرائن السياقية المقالية، اللفظية منها والمعنوية، وكيف يمكن التقاط دلالة السياق القرآني.

٢. نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دراسة لغوية نحوية دلالية - عبد المنعم خليل<sup>(٦)</sup>.

٣. المناسبة في القرآن: دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسياق اللغوي\ عبد الحميد مصطفى شعبان<sup>(٧)</sup>.

٤ - دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير (رسالة ماجستير) جامعة الإمام محمد بن سعود، عبد الحكيم بن عبد الله القاسم.

٥ - أثر السياق القرآني في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية علي سورتي الفاتحة والبقرة - د. محمد الربيعة\ رسالة دكتوراة نوقشت في جامعة الإمام في الرياض.

ولا شك أن هناك جوانب مشتركة بين السياق في النص القرآني والسياق في نص الحديث النبوي، لكن النص النبوي له خصائصه، وله أسلوبه، إضافة إلى أن نصوص السنة من الكثرة بمكان، ونتيجة سوء فهمها ظهر كثير من البدع والضلالات، لهذا فإن تغطية هذا الجانب تبقي مسؤولية أهل العلم، خاصة المختصين بالحديث النبوي وفقهه، والدراسة التطبيقية تبرز كثيراً من الفوائد.

وقد تناولت هذه الدراسة المطالب الآتية:

١ - المطلب الأول: مفهوم السياق

٢ - كلام علماء الأصول في أهمية مراعاة السياق في فهم الخطاب الشرعي.

٣ - المطلب الثالث: عناصر السياق اللغوي.

٤ - المطلب الرابع: الإمام الجرجاني وجهوده في بيان أهمية السياق اللغوي في فهم السنة.

٥ - المطلب الخامس: الدراسة التطبيقية ( حديث من تقرب إلي شير...) كيف نفهمه في ظل سياقه اللغوي؟

## المطلب الأول: مفهوم السياق:

السياق في اللغة: من السوق، يقال: ساقه يسوقه سوقاً، وساق الإبل يسوقها سوقاً وسياًقاً، وتساقوت الإبل إذا تناهت، وساق الحديث أحسن سياق، أي أتى به علي أحسن سرد، وسياق الكلام أسلوبه الذي يجري عليه<sup>(٨)</sup>، قال ابن منظور: وفي الحديث: "لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه"<sup>(٩)</sup>: هو كناية عن استقامة الناس وانقيادهم إليه واتفاقهم عليه، ولم يرد نفس العصا وإنما ضربها مثلاً لاستيلائه عليهم وطاعتهم له، إلا أن في ذكرها دلالة علي عسفه وخشونته عليهم.

و في الحديث: "وسواق يسوق بمن"<sup>(١٠)</sup> أي حاد يحدو الإبل فهو يسوقهن بجداثه، وسواق الإبل يقدمها، ومنه "رويدك سوقك بالقوارير..."<sup>(١١)</sup>.

وساق الجيش: مؤخره، وفي صفة مشبه عليه الصلاة والسلام: "كان يسوق أصحابه"<sup>(١٢)</sup> أي يقدمهم ويمشي خلفهم تواضعاً ولا يدع أحداً يمشي خلفه، وفي الحديث في صفة الصالحين: (إن كانت الساقية كان فيها وإن كان في الجيش كان فيه)<sup>(١٣)</sup>. الساقية: جمع سائق وهم الذين يسوقون جيش الغزاة ويكونون من ورائه يحفظونه..

و يقال: فلان في السياق أي في النزاع، وساق فلان من امرأته أي أعطاهها مهرها والسياق: المهر<sup>(١٤)</sup>.

قلت: من خلال تأمل المعاني التي ساقها أهل اللغة لاستعمالات ساق وما يشتق منها، لم أجد أن القدماء استعملوا كلمة السياق لما هو مقصود بها في استعمالات المتأخرين، باستثناء ما أشار إليه ابن فارس، حيث جاء في كلامه إشارة للمعني الاصطلاحي عندما قال: "وسياق الكلام أسلوبه الذي يجري عليه"، وبقية اللغويين إنما استوحوها من مثل السياق بمعني المهر

وهو ما يساق للعروس، والسياق بمعنى النزاع وهو الظرف الذي تساق فيه الروح إلى باربيها، فالسياق هو عملية السوق للإبل أو للمهر أو للجيش أو الناس ونحو ذلك، ثم أطلق السياق علي نفس المهر أو نفس خروج الروح للملابسة، وهكذا السياق اللغوي هو في الأصل بمعنى سوق الكلام وهو الإتيان به وصياغته، ثم أطلق علي الكلام نفسه سابقه ولاحقه، والطريقة التي جاء فيها.

## السياق في اصطلاح المتأخرين:

في (المعجم الوسيط): "مؤدي الكلام السابق واللاحق ومقتضاه في تفسير بعض الألفاظ أو تحديد المعاني المرادة من بين معانيها" أو هو: "النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم" (١٥).

و قال العطار: السياق ما سبق الكلام لأجله (١٦).

. الناظم الذي يعطي للكلمة في ارتباطها بما قبلها وما بعدها معناها المقصود.

. الجو العام الذي يحيط بالكلمة وما يكتنفها من قرائن وعلامات.

- مؤدي الكلام السابق واللاحق ومقتضاه في تفسير بعض الألفاظ وتحديد المعاني المرادة من بين معانيها (١٧).

و بالنظر في استعمالات العلماء لكلمة السياق يظهر المقصود وهو: الظرف الذي سبقت فيه الكلمة أو الجملة المراد فهمها، وهذا الظرف (وهو كل ما أحاط بالنص من قرائن) تحدد المراد من النص، لما لا يجوز قطع الكلمة أو الجملة عن سياقها بل لا بد أن تفهم في ظل ما أحاط بها: مم اهو قبلها أو بعدها في النص، وكذا المناسبة التي قبل فيها النص، وغير ذلك مما يساعد علي فهمها مثل الظرف المكاني ولبينة الاجتماعية والثقافية، والمقاصد التشريعية وأحوال المخاطبين فكل ذلك أساس في سياق النص ومظلة هادية لصواب الفهم.

و الذي يهمننا في هذه الدراسة هو السياق اللغوي- أو السياق المقالي- ، ونعني به الأسلوب الذي جاءت فيه الكلمة أو العبارة، فعلي هذا أستطيع القول:

إن السياق اللغوي: هو " الوعاء النحوي والبلاغي الذي جاءت فيه الكلمة أو العبارة فيفهم المعني بالنظر إلى الأسلوب الذي أكتنف العبارة بالنظر إلى ما قبلها وما بعدها من الكلام".

فالأسلوب اللغوي هو جزء من السياق العام، لأننا نقصد به المعني النحوي أو الوظيفي للجملة التي قد يكون لها أكثر من معني محتمل، فهنا يأتي الأسلوب اللغوي الذي سبق فيه النص فيرفع الاحتمال ويحدد المعني المراد مع الاستعانة بباقي القرائن السياقية فيفهم معني الكلمة بصورة متكاملة في ظل النص كله، ولا يكون نظراً قاصراً علي ظاهر الكلمة والجمود علي ذلك مع العلم بوجود الفوارق في المعني بحسب موقع الكلمة من النظم، فهنا نعطي حظاً وافراً ضرورياً للصورة الكلية بربط الجزئيات، فلا نقدر علي فهم الكلمة إلا في ظل معرفة موقعها من النص.

و قد يكون السياق يحتوي دلالة واحدة أو أكثر، وكلما كثرت الدلالات ساعد ذلك في فهم النص وبيان المحمل وتعيين المحتمل وتنزيل الكلام علي المقصود منه، بعيداً عن الحرفية في الفهم التي تتنافي مع الفقه الصحيح المطلوب، ومن وقع في ذلك كان له حظ من قوله عليه الصلاة والسلام ذاماً للخوارج: (يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم) (١٨) يعني بذلك أنهم لا يتدبرونه ولا يفقهون معانيه علي الوجه الشرعي المطلوب.

و أنسب مثال لبيان المراد من السياق اللغوي هو الألفاظ المشتركة الدلالة، فإن الألفاظ لا يمكن تحديد المراد منها إلا بواسطة السياق الذي جاءت فيه، فمثلاً كلمة (الأمّة) في قوله تعالى: (وإذ قالت أمة منهم) من سورة الأعراف، بمعنى الجماعة، معناها غير ما هو في قوله تعالى: (ولكن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة) (هود: ٨)، بمعنى المدة الزمنية، وكلاهما معناه غير ما جاء في قوله تعالى: (إنا وجدنا آباءنا علي أمة) (الزخرف: ٢٢)، بمعنى طريقة، والشيء نفسه يقال في كثير من الكلمات المشتركة التي تأتي في نصوص الكتاب والسنة.

فإذا كانت العبارة تحتل عدة معاني فإن المعني الأقرب هو الذي يدل عليه السياق، لأن السياق من تركيب الكلام وأساس في نظمه، فالالتفات للسياق يساعد في فهم المراد في أي نص نقرأه ومن ذلك نصوص السنة النبوية، وذلك لأن من استعمالات العرب للمفردة الواحد أن يستعملوها حسب المعني المراد وهو ما يسمي الاستعمال السياقي.

و من الاستعمال السياقي انطلقت كتب الوجوه والنظائر في تعيين الوجوه للألفاظ القرآنية، لذا تعددت الوجوه للفظ الواحد الذي يعود إلي معني لغوي واحد، لأنه لا اعتبار لأصل اللفظ ولا لاستعمال العرب في تحديد الوجوه إلا إذا كان هو المعني المراد في السياق. فالألفاظ اللغوية لها عدة معاني، ولا يحدد أحد معانيها إلا سياقها الواردة فيه، فإن لم ينظر في السياق نظرة كلية، وبناءً عليه يتم تحديد المراد من اللفظ، فإن الخلل سيتطرق إلي تفسير تلك اللفظة، وبالتالي الوقوع في الإغراب في التأويل الذي يعد فساداً منهجياً (١٩).

قلت: إن فهم الكلمة وتحريها من معانيها المشاركة لها لا يتوقف علي السياق اللغوي، إنما يضاف إليه باقي وسائل الفهم المختفة بالنص.

## المطلب الثاني:

كلام علماء الأصول في أهمية مراعاة السياق في فهم الخطاب الشرعي.

نبه علماؤنا السابقون علي ضرورة مراعاة كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الفهم الصحيح للنصوص ومن ذلك معرفة مقاصد الشريعة ومعرفة سبب ورود الحديث ومعرفة السياق الاجتماعي، ثم أصول الفقه والاستنباط والسياق اللغوي، وإن عدم مراعاة ذلك أدت إلى سوء الفهم وسوء الاستنباط وبالتالي خروج آراء شاذة وفهم مستبشرة. ونجد أن الأصوليين قد تكلموا عن السياق وأهميته في باب الحديث عن القرائن الحالية واللفظية، وجاء حديثهم عنه موزعاً عند كلامهم علي دلالات الألفاظ، لما لذلك من أهمية كبيرة في فقه النص، وهذه بعض العبارات ذات الصلة من كلام الأصوليين:

### الإمام الشافعي:

قال رحمه الله: (باب الصنف الذي يبين سياقه معناه) ذكر فيه آيات كريمة فيها تحديد معني بعض الألفاظ التي لها أكثر من معني السياق، وبين أن السياق يستعمل لتحديد المعني المراد للألفاظ المشتركة أو الموهمة<sup>(٢٠)</sup>.

و في موضع آخر بين: "أن الله خاطب العرب بكتابه بلسانها علي ما تعرف من معانيها ثم ذكر مما يعرف من معانيها اتساع لسانها وأن تخاطب بالعام مراداً به ظاهر هو بالعام يراد به العام ويدخله الخصوص ويستدل علي ذلك ببعض ما يدخله في الكلام وبالعام يراد به الخاص ويعرف بالسياق وبالكلام ينبغي أوله عن آخره وآخره عن أوله وأن تتكلم بالشيء تعرفه بالمعني دون اللفظ كما تعرف بالإشارة وتسمي الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة والمعاني الكثيرة بالاسم الواحد ثم قال فمن جهل هذا من لسانها وبلسانها نزل الكتاب وجاءت السنة فتكلف القول في عملها تكلف ما يجهل بعضه ومن تكلف ما جهل وما لم يثبت معرفة كانت موافقة الصواب إن وافقه من حيث لا يعرفه غير مجمودة وكان بخطئه غير معذور إلا نطق فيما لا يحيط عليه بالفرق بين الصواب والخطأ فيه"<sup>(٢١)</sup>.

### ابن دقيق العيد:

بين رحمه الله تأثير السياق علي حسن فهم النصوص فقال: "فإن السياق طريق إلى بيان المحملات، وتعيين احتمالات، وتنزيل الكلام علي المقصود منه، وفهم ذلك قاعدة كبيرة من قواعد أصول الفقه ولم أر من تعرض لها في أصول الفقه بالكلام عليها وتقرير قاعدتها مطولة إلا بعض المتأخرين ممن اردكنا أصحابهم، وهي قاعدة متعينة علي الناظر وإن كانت ذات شغب علي الناظر"<sup>(٢٢)</sup>.

### ابن قيم الجوزية:

أوضح أهمية مراعاة السياق في فهم مراد المتكلم فقال: "السياق يرشد إلى تبين المحمل وتعيين المحتمل والقطعي بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة علي كراد المتكلم فمن إهماله غلط في نظره وغالط في مناظرته، فأنظر إلي قوله تعالي: (ذق إنك أنت العزيز الكريم) - الدخان ٤٦ - كيف تجد سياقه يدل علي أنه الدليل الحقيق<sup>(٢٣)</sup>.

و قد حذر ابن القيم من عدم مراعاة ضوابط فهم النصوص، وما يؤدي إليه من عواقب وخيمة فقال: "ينبغي أن يفهم عن الرسول مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مرادة وما قصده من الهدى والبيان، وقد حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله، بل سوء الفهم عن الله ورسوله، أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع، لا سيما إذا أضيفت إليه سوء القصد، فيتفق سوء الفهم في بعض الأشياء من المتبوع من حسن قصده، وسوء القصد من التابع..<sup>(٢٤)</sup>

قال الشاطبي - رحمه الله: "هذا قوله، وهو الحق الذي لا يحيص عنه"<sup>(٢٥)</sup>.

و من هنا فإن أغلب المهتمين بالدراسات الأدبية والبيانية والنقدية، ودراسات التفسير وفقه النص يعدون السياق من أفضل المناهج لدراسة المعني<sup>(٢٦)</sup>.

و إذا كان السياق اللغوي بهذه الأهمية، وعمادة الأسلوب اللغوي الذي يحتوي النص، فمن المهم بيان عناصر السياق:

### المطلب الثالث: مستويات الكلام:

**١ - المعني المعجمي:** وهو يمثل في معني كل كلمة في الجملة ودلالة اللغة عليها ابتداء في أصلها، وهو اللبنة الأولى في فهم المفردات، بغض النظر عن موقعها في الجملة، ومن هنا نلاحظ أن ابن فارس في كتابه معجم مقاييس اللغة يبرز المعني المعجمي للكلمة بردها إلي أصلها ويبين أصل المعني. لكن الدلالة المعجمية لا تستقل بتحديد المعني، فلا بد من النظر في موقعها من الجملة (التركيب والنظم) خاصة إن كان هناك غموش في دلالتها.

**٢ - الإضافة (أو المصاحبة):** وأعني به ما يضاف للكلمة من كلمات تؤثر في معناها وتحدده، فمثلاً كلمة (يد) يختلف معناها في التعبيرات الآتية لاختلاف المفردات المضافة لها: أيادٍ بيضاء، يد القوس، يد الرحي، خفيف اليد،...  
و مثل ذلك ما ذكره الزنجشيري عن كلمة "أنف" حيث اختلفت معانيها بسبب اختلاف الإضافة: أنف القوم: "كبيرهم وسيدهم"، أنف الجمل: "الجزء المتقدم من الجمل"، أنف النهار: "أوله"، أنف الدهر: "أوله"، أنف الخيل: "مقدمتها".

## ٢ - تركيب الكلمات والجمل (الأسلوب والنظم):

فكل تركيب للكلام له معني نظمي يختلف عن غيره، وقد بين العالم اللغوي عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - ارتباط المعاني بحسب موقع الكلمات والجمل نحويًا وصرفيًا وبيانياً في كتابه القيم "دلائل الإعجاز"، مركزاً علي هذا المعني في القرآن الكريم، وتعرض لشيء من ذلك بخصوص السنة في كتابه: "أسرار البلاغة".  
فالأسلوب البلاغي الذي ألف فيه الخطاط له أثره في فهم المعني، حيث تأتي الكلمة بقلب فيه استعارة أو كناية أو تعريض، فتفهم من سياقها، مثل:  
قوله تعالى ( يخرجهم من الظلمات إلي النور) - البقرة\ ٢٥٧ - أي: يخرجهم من الكفر إلي الإسلام، وهي استعارة بلاغية، دلنا عليها سياق الكلام لأن قبلها ( الله ولي الذين آمنوا يخرجهم...).

ومثل قول الرسول - صلي الله عليه وسلم - في وصف رجل: ( لا يضع عصاه عن عاتقه)<sup>(٢٧)</sup> كناية عن كثرة الترحال والسفر، وقد دلنا أنها كناية سياق الكلام، لأنه جاء في الرواية نفسها أن امرأة سألت النبي - صلي الله عليه وسلم - واستشارته في الزواج من رجلين، فقال النبي - صلي الله عليه وسلم - هذا الكلام ناصحاً لها، مبيناً أن الرجل كثير السفر لا يصلح لها.  
ومثل قولهم: زيد كثير الرماد: كناية عن الكرم والبذل، وتقال هذه الكلمة في سياق المدح، فيفهم المقصود منها<sup>(٢٨)</sup>.

## المطلب الرابع:

### الإمام الجرجاني وجهوده في بيان أهمية السياق اللغوي في فهم السنة:

اجتهد الجرجاني - رحمه الله - في إبراز نظرية النظم وصلتها بإعجاز القرآن الكريم، وكلامه في ذلك مقرر ومعروف عند الباحثين، لكن يهنا هنا إبراز بعض من جهده في ذلك بخصوص السنة، مما لم يتناوله أحد - علي حد علمي -، فقد كان له لفتات جميلة في بيان أهمية النظر إلي تركيب الكلام وما فيه من دقة وبلاغة لفهم المعني وأن كل كلمة إنما تفهم في إطار الصورة الكلية التي جعلت فيها، وأن النص يفهم بنظمه المتكامل دون تفريقه:

١ . فعند تعليقه علي حديث: ( إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة)<sup>(٢٩)</sup>، قال: لا بد من المحافظة علي ذكر المشبه به الذي هو الإبل، فلو قلت: "الناس لا تجد فيهم راحلة" أو "لا تجد في الناس راحلة" كان ظاهر التعسف<sup>(٣٠)</sup>.

قلت: يقصد بالتعسف هنا إنك إذا فصلت الجملة عن سياقها اللغوي - وهو ذكر المشبه والمشبه به معاً أسأت فهم النص وخرجت به عن مقصوده لأن سياق النص يعطي مدلولين، أحدهما: تساوي الناس في الأحوال عموماً، والآخر: بيان أن المرضيين منهم قليل مثل الراحلة في الإبل.  
و قال الجرجاني في موضع آخر: "هل تقدر أن تقول رأيت إبلاً مائة لا تجد فيها راحلة"، في معني رأيت ناساً، والإبل المئة التي لا تجد فيها راحلة تريد الناس، كما قلت: "رأيت أسداً" علي معني رجلاً كالأسد".

يريد - رحمه الله - أن الكاف في قوله "كالإبل المائة" وقعت موقعها المناسب في سياق الكلام، وأن العبارة بهذا التركيب تفهم علي غير ما تفهم لو حذفت الكاف، وأن سياق الكلام اقتضي مثل هذا التركيب وهذا الفهم.

٢ . وتكلم الجرجاني أيضاً عن فحوي الكلام - الذي يعني به السياق - وأثره في فهم المراد، مثال ذلك أنك إذا سمعت قوله:  
" ترنع الشرب و اغتالت حلومهم شمس ترحل فيهم ثم ترحل".

و استدللنا بالسياق الذي ذكر فيه الشرب واغتياال الحلوم والإرتحال أنه أراد قينة، ولو قال: "ترجلت شمس" دون أن يذكر شيئاً من أحوال الآدميين لم يعقل قط أنه أراد امرأة، ثم قال: ولذلك تجد الشيء يلبس منه حتى علي أهل المعرفة كما روي أن عدي بن حاتم اشتبه عليه المراد بلفظ الخيط في قوله تعالي: (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ..) - البقرة ١٨٧- وحمله علي ظاهره، فقد روي أنه قال لما نزلت هذه الآية: أخذت عقلاً أسود وعقلاً أبيض فوضعتهما تحت وسادتي فنظرت فلم أتبين، فذكرت ذلك للنبي - صلي الله عليه وسلم- فقال (إن وسادتك لطويل عريض، إنما هو الليل والنهار)<sup>(٣١)(٣٢)</sup>.

وقوله: "اشتبه عليه.ز" إنما يريد بها أن يؤكد أن عدي بن حاتم- مع أنه من أهل المعرفة- التبس عليه معني الخيط فحملة علي المعني الأعجمي دون التنبيه إلي السياق، لأن سياق الآية يوضح ويدل أن المراد بياض الفجر أول ظهوره قد شبهه بالخيط المعروف لدينا، وقد اختلف العلماء في قول الرسول- صلي الله عليه وسلم-: "إن وسادك لعريض.." هل هو كناية عن كثرة نومه، أو كناية عن طول ليله، أو هو تعريض بعدم فطنته<sup>(٣٣)</sup> وعلي كل الأحوال فهو لم يفتن للمعني الحقيقي للآية.

. وقد شنع الجرجاني علي طائفتين من الناس في تعاملهم مع النصوص حيث لا يراعون نظم الكلام ولا يلتفتون إلي الأسلوب الذي هو جزء من اللغة.

**الطائفة الأولى:** وهو من يفرط في تعاطي التأويل يحص علي تكثير الوجوه وينسون أن احتمال اللفظ شرط في كل ما يدل به عن الظاهر، وأن هؤلاء القوم يتكون السليم من المعاني إلي السقيم منها، وبين أن هذه آفة عظيمة تدل علي الجهل بحقيقة أساليب البيان، وأن الخطأ فيه مورط لصاحبه، وفي مثل هؤلاء قال الرسول- صلي الله عليه وسلم- (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)<sup>(٣٤)</sup>.

**قال:** وليس حمله روايته وسرد ألفاظه بل العلم بمعانيه ومخارجه وطرقه ومناهجه، والفرق بين الجائر والممتنع..".

ثم ذكر الطائفة الأخرى وهم الذين فرطوا في فهم النصوص فلم يحملوها علي معانيها التي تفهم من سياقها، وجمدوا علي ظاهر النصوص دون التفات إلي أساليب العرب في بياها الذي نزل القرآن به في قوله تعالي: (بلسان عربي مبين)- الشعراء ١٩٥- ، ووصف هؤلاء بأن فكرهم واقف لا يجيء ولا يذهب، وأنه بعيد عن العقل وفيه شيء من رائحة الجهل<sup>(٣٥)</sup>.

قلت: غرضه النبيل من كلامه واضح، ويدل علي سعة أفقه وتمكنه من البيان وطرقه، لكن لا بد من لفت النظر إلي أن من يأخذ بظاهر النصوص ليسوا علي درجة واحدة، ففيهم من ينطبق عليهم كلام الجرجاني، وفيهم من هو من أهل التحقيق الذين يميزون بين ما كان مراداً منه ظاهر النص، وما كان مراداً منه معناه المفهوم من السياق، فليس من العدل وضع الناس كلهم في درجة واحدة.

٣. وفي موضع آخر، يؤكد الجرجاني علي أهمية السياق فقد بين..". أن اليد لها معني في أصل اللغة وهو العضو المعروف، لكن إذا وضعت في سياق معين فإنها يراد بها القدرة، مثل قولك: فلان طويل اليد، يراد فضل القدرة، فأنت لو وضعت القدرة هنا في موضع اليد أحلت، كما أنك لو حالت في قول النبي- صلي الله عليه وسلم- وقد قالت له نساؤه: آيتنا أسرع لحاقاً بك يا رسول الله؟ فقال (أطولكن يداً) يريد السخاء والجود وبسط اليد باليد، إن تضع موضع اليد شيئاً مما أريد بهذا الكلام خرجت عن المعقول، وذلك أن الشيء مأخوذ من مجموع الطول واليد مضافاً ذلك إلي هذه، وطلبه من اليد وحدها طلب للشيء علي غير وجهه"<sup>(٣٦)</sup>.

قال: وهكذا قول النبي- صلي الله عليه وسلم- (المؤمنون تتكافأ دماءهم ويسعي بذمتهم أدناهم وهم يد علي من سواهم)<sup>(٣٨)</sup> المعني: وإن كان علي قولك وهم عون علي من سواهم، فلا تقول إن اليد بمعني العون حقيقة بل المعني أن مثلهم مع كثرهم في وجوب الاتفاق بينهم مثل اليد الواحدة، فكما لا يتصور أن يخذل بعض أجزاء اليد بعضاً، وأن تختلف بها الجهة في التصرف كذلك سبيل المؤمنين في تعاضدهم علي المشتركين لأن كلمة التوحيد جامعة لهم، فلذلك كانوا كنفس واحدة، فهذا كله مما يعترف لك كل أحد فيه بأن اليد علي إنفرادها لا تقع علي شيء.<sup>(٣٩)</sup>

يعني أنه لا بد أن يفهم معناها في سياقها.

٤. وقد استنكر الجرجاني علي من يفسر الكلمة بمعزل عن سياقها والغرض الذي أريد بها ، وبين أن ذلك من التحليل، قال: كنحو ما ذكره بعضهم في قول الشاعر:

هون عليك فإن الأمور بكف الإله مقاديرها.

فإنه استشهد به في تأويل خبر جاء في عظم الثواب علي الزكاة إذا كانت ن الطيب، ثم قال: الكف هنا بمعني السلطان والملك والقدرة، قال: وقيل الكف هنا بمعني النعمة، والخبر هو ما رواه أبو هريرة عن النبي- صلي الله عليه وسلم-: (إن أحداكم إذا تصدق بالتمرة من الطيب ولا يقبل الله إلا الطيب جعل الله ذلك في كفه فيزيها كما يربي أحكم فلو حتى يبلغ بالتمرة مثل أحد)<sup>(٤٠)</sup>.

قال الجرجاني: ما يظن بمن نظر في العربية يوماً أن يتوهم أن الكف تكون علي هذا الإطلاق وعلي الإنفراد بمعني السلطان والقدرة والنعمة، لكن أراد المثل فأساء العبارة.<sup>(٤١)</sup>.

قلت: يريد أن القائل إن كف هنا بمعني القدرة أساء العبارة، لأنه فسر الكف بمعزل عما قبلها وبعدها في نظم الحديث، وإنما كان ينبغي أن يفسر علي السياق، وقد أوضح القزويني المراد بالمثل الذي أشار إليه الجرجاني فقال: "المعني فيه انتزاع الشبه من المجموع، وكل هذا يسمي التمثيل علي سبيل الاستعارة"<sup>(٤٢)</sup>. فهو تعبير عن مزيد فضل الله بحفظ الأجر ومضاعفته كم يحفظ فله ويربيه، لأن العادة جرت أن من يرد الاهتمام بالشيء أمسكه بكفه، فالنظر للسياق اللغوي يعصم من الشطط في الفهم، وكل هذا لا يتعارض مع ما جاء عن السلف رحمهم الله: "أمروها كما جاءت" وقولهم: "تفسيرها قراءتها"<sup>(٤٣)</sup>، لأن المقصود عدم الخوض في الصفات الخيرية بالسؤال عن الكنه والكيفية، مما يوقع في التأويل أو التشبيه، ولم يقصدوا عدم فهم الكلمة أو الجملة في ضوء السياق، لأن الغرض إلي سبق له الكلام واضح المغزي، وإذا كان المعني المشروح هو ظاهر اللفظ بالقرينة المفهومة من السياق لم يكن شرحه بذلك تأويلاً ولا صرفاً له عن ظاهره، لأن ظاهر اللفظ يؤخذ من النظم والتوكيب، دون النظر إلي معني الكلمة الواحدة.

**المطلب الخامس: الدراسة التطبيقية:**

حديث (من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً..): كيف نفهمه في ظل سياقه اللغوي؟

أخرج الإمام مسلم عن أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ( يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسئية، فجزاءه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً، تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي، أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة<sup>(٤٤)</sup>).

و أخرج الشيخان عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول الله تعالى: ( إنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ خير من منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة<sup>(٤٥)</sup>).

و أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - يرويه عن ربه قال: (إذا تقرب العبد إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً أتقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً وإذا أتاني مشياً أتيته هرولة<sup>(٤٦)</sup>).

هذا الحديث أثار شبهات بعض المبتدعة والمشنعين علي أهل الحديث، قديماً وحديثاً، أما قديماً فمن خلال بعض المعتزلة الذين كانوا يتصيدون أمثال هذه الروايات مما يحتاج إلي معرفة اللغة، وكذا معرفة بأساليب الرسول - صلى الله عليه وسلم - في توضيح الأمور ومخاطبة للناس بالطرق البلاغية، فضلاً عن الإطلاع علي النصوص وفقهها ومعرفة مقاصد الشريعة.

وإذا جئنا للإمام البخاري وهو معروف بفقهه ومنهجه في إتباع السنة والإقتداء بالسلف، لنعرف فهمه للحديث وأين أخرجه نجد أنه أخرج الحديث في كتاب التوحيد، ولم يجعل باباً لصفة خيرية كما فعل في أبواب الصفات الأخرى الثابتة التي يراها، إنما جعله في بابين هما: "باب قول الله تعالي ويحذركم الله نفسه وقوله جل ذكره تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك"، حيث جاء في نص الحديث ما يدل علي ذلك وهو قوله: (فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي).

و أخرجه في باب ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - وروايته عن ربه، وقد خرج فيه لأنه حديث قدسي، وأخرج معه في الباب حديثاً قدسياً آخر هو الحديث: (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم...).

و قد أخرج ابن بطه الحديث السابق، ثم نقل عن ابن نمير أنه قال: "فقلت للأعمش: من يستشنع هذا الحديث؟ فقال إنما أراد في الإجابة<sup>(٤٧)</sup>".

و الحديث ذكره ابن قتيبة في كتابه: "تأويل مختلف الحديث" ليبين معناه، وليرد شبهة المبتدعة والمشنعين علي أهل السنة، وبين أنهم قد أتوا من قبل جهلهم باللغة فأبرز معني الحديث بحسب السياق اللغوي:

قال: إن هذا تمثيل وتشبيه، وإنما أراد من أتاني مسرعاً بالطاعة أتيته بالثواب أسرع من إتيانه، فكفي عن ذلك بالمشي والهرولة، كما يقال: فلان موضع في الضلال، والإيضاع سير سريع لا يراد به أنه يسير ذلك السير، وإنما يراد أنه يسرع إلي الضلال، فكفي بالوضع عن الإسراع، وكذلك قوله: (وليس يراد أنهم الذين سعوا في آياتنا معاجزين)، والسعي الإسراع في المشي وليس يراد أنهم مشوا دائماً، وإنما يراد أنهم أسرعوا بنياتهم وأعمالهم<sup>(٤٨)</sup>.

قلت: وابن قتيبة - رحمه الله - من علماء السنة المتطلعين في اللغة، وهو الحريص علي عقيدة الأمة والدفاع عنها، وكان يسمى "لسان أهل السنة"، وهو لا يألو جهداً في تثبيت وتقرير عقيدة أهل السنة، فلو كان هذا الحديث النبوي هدفه تقرير صفة الله تعالي لنافح عنه، لكنه بحسه اللغوي وحسن فهمه وإدراكه لأساليب اللغة بين المعني المتبادر الذي يحتمله سياق النص، الذي تضمن تصوير المعقول بالمحسوس، حيث شبه مقدار التقرب إلي الله وهو معقول بشيء محسوس وهو الشبر والذراع والهمولة، ليكون أقرب إلي الإفهام.

وقال أبو حاتم ابن حبان - رحمه الله - "الله أجل وأعلي من أن ينسب إليه شيء من صفات المخلوق إذ ليس كمثله شيء، وهذه ألفاظ خرجت من ألفاظ التعارف علي حسب ما التعارف الناس مما بينهم... ومن تقرب إلي الباري جل وعلا بقدر شبر من الطاعات كان وجود الرأفة والرحمة من الرب منه له أقرب بذراع، ومن تقرب إلي مولاه جل وعلا بقدر ذراع من الطاعات كانت المغفرة منه له أقرب بباع، ومن أتى في أنواع الطاعات بالسرعة كالمشي أنه أنواع الوسائل ووجود الرأفة والرحمة والمغفرة بالسرعة كالهرولة والله أعلي وأجل"<sup>(٤٩)</sup>.

وقال الخطابي: هذا مثل، ومعناه حسن القبول ومضاعفة الثواب علي قدر العمل الذي يتقرب به العبد إلي ربه حتى يكون ذلك ممثلاً بفعل من أقبل نحو صاحبه قدر شبر فأستقبله صاحبه ذراعاً، وكمن مشي إليه فهورل إليه صاحبه قبولاً له وزيادة في إكرامه وقد يكون معناه التوفيق له والتيسير للعمل الذي يقربه منه<sup>(٥٠)</sup>.

قلت: وكلام هؤلاء العلماء واضح وفيه كفاية، ويستخلص منه: أن إقبال العبد اليسير عبر عنه الحديث بقوله: "من تقرب مني شبراً"، و"إن أتاني يمشي"، ثم عبر عن الإقبال الخفيف بقوله: "ومن تقرب مني ذراعاً"، يقابله إقبال الرب بالمغفرة والرحمة ومزيد الثواب المعبر عنه بقوله: "تقربت منه ذراعاً" "أتيته هرولة"، كناية عن مضاعفة الأجر ومزيد الفضل، وظهر من السياق أن العبد لا يتقرب إلي الله تعالي بالمشي المعروف، إنما يتقرب بالتوبة وبالصلاة والصوم، وقد يكون في كل ذلك واقفاً لا يمشي، فإذا لم يكن المراد في تقرب العبد حقيقة الشبر وحقيقة المشي، فإن ما يقابله من تقرب الله بالذراع والهرولة لا يراد به حقيقته بالمعني المعجمي، إنما تركيب الكلام يحدد أن المراد إكرام العبد بمزيد من الفضل والثواب أكثر مما يعمل.

و الذي يستقرئ السنة النبوية يجد أن هذا الأسلوب النبوي في التعبير عن القلة والكثرة له نظائر كثيرة، فمنها: حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- عن النبي- صلي الله عليه وسلم- قال: (من رأي من أميرة شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية<sup>(٥١)</sup>) متفق عليه.

و حديث: (من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربة الإسلام من عنقه<sup>(٥٢)</sup>) أخرجه أبو داود.

فهذا التعبير بالشبر كناية عن الخروج اليسير مهما كان، لتشتيع وذم الخروج عن طاعة الإمام مهما قلت، وصور ذلك بمقياس محسوس، وله نظائر في السنة: مثل (الذراع، الباع، فواق، ناقة، حبة خردل، مثقال ذرة،...).

و يوضح ذلك حديث فيه ذكر المشي والسعي تعبيراً عن القلة والكثرة، وهو ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة- رضي الله عنه - قال: قال رسول الله- صلي الله عليه وسلم- (ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد فيها ملجأ فليعذب<sup>(٥٣)</sup>).

و في رواية أخرى ( تكون فتنه القائم فيها خير من اليقظان، واليقظان فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الساعي<sup>(٥٤)</sup>).

نقل ابن حجر عن بعض شراح الحديث: (والقائد فيها خير من القائم): أي القائد في زمانها عنها

والمراد بالقائم الذي لا يستشرفها، وبالمشي من يمشي في أسبابه لأمر سواها فرما يقع بسبب مشيه في أمر يكرهه.

**قال الحافظ ابن حجر:** "وحكي ابن التين عن الداودي أن الظاهر أن المراد من يكون مباشراً لها في الأحوال كلها يعني أن بعضهم في ذلك أشد من بعض، فأعلامهم في ذلك الساعي فيها بحيث يكون سبباً لإثارتها ثم من يكون قائماً بأسبابها وهو ماشي، ثم من يكون مباشراً لها وهو قائم، ثم من يكون مع النظارة ولا يقاتل وهو القاعد، ثم من يكون مجتنباً لها ولا يباشر ولا ينظر وهو المضطجع اليقظان، ثم من لا يقع منه شيء من ذلك ولكنه راضٍ وهو النائم والمراد بالأفضلية في هذه الخيرية من يكون أقل شراً ممن فوقه علي التفصيل المذكور".<sup>(٥٥)</sup>.

قلت: والهدف من هذا النقل بيان أن شراح الحديث النبوي بينوا أن التعبير بكلمة الماشي والقائم هو من باب الكناية والتقريب للمعني، بإبراز المعقول بصورة محسوسة، فتفاوت الناس في مباشرة الفتنه يتفاوت مثل تفاوت حركة الناس علي الأرض: النائم ثم القاعد (أو اليقظان) ثم الماشي ثم الساعي وهكذا.

و هذا ليس ببعيد عن الحديث موضوع الدراسة الذي فيه: (ومن أتاني يمشي أتيته هرولة..). إذ المقصود بيان التفاوت ما بين عمل العبد ومجازاة الرب الكريم.

و لم يغب هذا المعني عن شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: "هو سبحانه يحب من يحبه، لا يمكن أن يكون العبد محباً لله والله تعالى غير محب له، بل بقدر محبة العبد لربه يكون حب الله له وإن كان جزء الله لعبده أعظم، كما في الحديث الإلهي الصحيح عن الله تعالى أنه قال: (من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة<sup>(٥٦)</sup>).

قلت: ولأجل هذا لم يؤثر عن أحد ممن يقتدي به من سلف الأمة ولا من المتأخرين المحققين من يثبت صفة المشي والهرولة لله تعالى بناءً علي الحديث المذكور إذ هو بمعزل عن أن يكون المراد به إثبات هذا.

و لم يفتن بعض أهل العلم المعاصرين لسياق النص وما يفهم من تركيب الكلام، وخشي أن يقول كلاماً يعد من التأويل المذموم، فأثبت ما تدل عليه كلمة "تقرب إليه ذراعاً" وأثبت المشي والهرولة، وقال: "إنها صفات لله تعالى تثبت بها بلا كيف"<sup>(٥٧)</sup>، علي قاعدة إثبات الصفات، وعند التأمل نجد كلاماً بعيداً عن التحقيق وقد يكون منطلقه عدم التبحر في اللغة وأساليبها، وهذا الإثبات في نظري لصفات لم ترد في الكتاب أو السنة بطريقة واضحة يعود بالضرر علي عقيدة أهل السنة إذ التوسع في هذا دون ضوابط محررة يسيء أكثر مما ينفع، وقد انتبه من العلماء المعاصرين الشيخ ابن عثيمين-رحمة الله - إلي أثر السياق في فهم هذا الحديث فقال:

" من مسائل العقيدة ما يعمل فيه الإنسان بالظن، مثلاً: في قوله تعالى: (من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً)، لا يجوز الإنسان بأن المراد القرب الحسي، فإن الإنسان لا شك ينقدح في ذهنه أن المراد بذلك القرب المعنوي، (من أتاني يمشي أتيته هرولة)، هذا أيضاً لا يجوز الإنسان بأن الله يمشي مشياً حقيقياً هرولة، ينقدح في ذهنه أن المراد الإسراع في إثابته وأن الله تعالى إلي الإثابة أسرع من الإنسان إلي العمل، ولهذا اختلف العلماء أهل السنة في هذه المسألة هل هو هذا أو هذا؟

فأنت إذا قلت هذا أو ها لست تتقين كما تتيقن نزول الله عز وجل الذي قال فيه الرسول - عليه الصلاة والسلام- "( بنزل ربنا إلي السماء الدنيا)<sup>(٥٨)</sup>، هذا لا يشك فيه الإنسان أنه نزول حقيقي، وكما في قوله: (استوي علي العرش) الأعراف ٥٤، لا يشك الإنسان أنه استواء حقيقي (...)<sup>(٥٩)</sup>.

و قال في موضع آخر: " وذهب بعض العلماء من أهل السنة إلي قوله: (أتيته هرولة) يراد به سرعة قبول الله تعالى وإقباله علي العبد المتقرب إليه المتوجه بقلبه وجوارحه إلي ربه، وقال " إن هذا هو ظاهر اللفظ بدليل أن الله تعالى قال: "ومن أتاني يمشي:، ومن المعلوم أن طالب الوصول إلي الله لا يطلبه بالمشي فقط بل يطلبه تارة بالمشي كالسير إلي المساجد والمشاعر والجهاد، ونحوها، وتارة بالركوع والسجود ونحوها، فعلم بذلك أن المراد بذلك كيفية طلب الوصول إلي الله تعالى، وأن الله تعالى يجازي الطالب بأعظم من عمله وأفضل، وإذا كان هذا ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية المفهومة من سياقه لم يكن تفسيره بذلك تأويلاً ولا صرفاً له عن ظاهره والله أعلم".<sup>(٦٠)</sup>.

أما الشيخ عبد العزيز بن باز- رحمه الله- فقد قال: "ولا مانع من إجراء الحديث علي ظاهره علي طريقة السلف الصالح، فإن أصحاب النبي- صلي الله عليه وسلم- سمعوا هذا الحديث من رسول الله - صلي الله عليه وسلم- ولم يعترضوه، ولم يسألوا عنه، ولم يتأولوه فهم صفوة الأمة وخيرها، وهم أعلم الناس باللغة العربية، وأعلم الناس بما يليق بالله تعالى وما يليق نفيه عن الله- سبحانه وتعالى-، فالواجب في مثل هذا أن يتلقي بالقبول، وأن يحمل علي خير الحمل، وأن هذه الصفة تليق بالله لا يشابه فيها خلقه، فليس تقربه إلي عبده مثل تقرب لعبد إلي غيره وليس مشيه كمشيهم، ولا هولته كهولتهم، وهكذا غضبه وهكذا رضاه وهكذا مجيئه يوم القيامة، وإتيانه يوم القيامة للقاء بين عباد، وهكذا استواءه علي



العرش، نزوله في آخر الليل كل ليلة، كلها صفات تليق بالله -جل وعلا- لا يشابه فيها خلقه، فكما أن استواءه علي العرش، ونزوله في آخر الليل في الثلث الأخير من الليل، ويجيئه يوم القيامة لا يشابه استواء خلقه، ولا يجيء خلق، ولا نزول خلقه، وهكذا تقر به إلى عباد العابدين له، والمسارعين إلى طاعته تقر به إليهم لا يشابهه تقر بهم، وليس قر به منهم كقرهم منه، وليس مشبه لهم كمشيهم، ولا هرولة كهرولتهم بل هو شيء يليق بالله لا يشابهه فيه خلقه -سبحانه وتعالى- كسائر الصفات، فهو أعلم بصفاته، وأعلم بكيفيةها - عز وجل- وقد أجمع سلف الأمة علي أن الواجب في صفات الرب، وأسمائه إمرارها كما جاءت، واعتقاد معناها، وأنه حق يليق بالله -سبحانه وتعالى- وأنه لا يعلم كيفية صفاته إلا هو، كما أنه لا يعلم كيفية ذاته إلا هو -سبحانه... إلخ<sup>(٦١)</sup>.

قلت: وكلام الشيخ رحمه الله - متعقب بأن منهج إثبات الصفات يقتضي دائماً أمران: الأمر الأول: صحة الرواية، الأمر الآخر: أن يفهم منها أن المراد إثبات الصفة وليس تعبيراً عن معني علي أساليب العرب في التوسع في التعبير والتفنن في الخطاب والاستعارة في الكلام، فعندما نقرأ في الأحاديث عن المطر:

إن أنس قال: (أصابنا ونحن مع رسول الله -صلي الله عليه وسلم- مطر قال فحسر رسول الله -صلي الله عليه وسلم- ثوبه حتى أصابه من المطر، فقلنا يا رسول الله لم صنعت هذا؟ قال: لأنه حديث عهد بربه تعالى)<sup>(٦٢)</sup>.

كل من يتأمل في سياق الكلام يعرف أن المراد بركة الماء النازل من السماء لظهوريته، قبل أن يخالط الأرض وما فيها، وإنما حديث عهد بربه "أي أنه من فضل الله الحادث ومن نعمته الحالية، فالمطر ينزل من السماء بفضل الله وتديره.

و عندما نقرأ: أن رسول الله -صلي الله عليه وسلم- خرج محتضناً أحد ابني ابنته وهو يقول: (والله إنكم لتجنون وتبخلون، وإنكم لمن ربحان الله عز وجل وإن آخر وطأة وطفها الله بوج)<sup>(٦٣)</sup>، ندرك من السياق وتركيب الكلام أنه تعريض بقرب وفاته -صلي الله عليه وسلم- حيث قرن بين حبه لحفيده وشوقه إليه، وبين شعوره بدنو الأجل لأن الدين قد تم ولأن الله قد أذل المشركين في وقعة حنين - حيث إنها قرب وادي وج قرب الطائف - وهي آخر وقعة مهدت لظهور الدين ومن ثم لم يبق سوى الرحيل واللحاق بالرفيق الأعلى.

هذا ما فهمه عملاء الإسلام من تركيب سياق الكلام<sup>(٦٤)</sup>، ولو فهمناه علي ظاهره بحروفه لذهب بنا الفهم بعيداً في موج من القول، وغريب من الاعتقاد. فهل نستطيع هنا أن نمشي علي قاعدة إثبات الصفات، أم لا بد من الالتفات إلى السياق وفحوى الكلام وقصد المتكلم واستحضار أن نصوص الشريعة وعماؤها لغة العرب الواسعة بما فيها من بلاغة وأساليب متعددة للتعبير، ولا نقصد هنا الحقيقة والمجاز إنما نتكلم عن أساليب التعبير، لأننا نعلم أن مسلك المجاز ركبه بعض أهل العلم لتسويغ نفي الصفات كما هو معلوم، إنما أساليب اللغة أكبر وأوسع من المجاز.

و أمر آخر وهو أن الصحابة الذين سمعوا هذا الحديث لم يثبت عنهم أنهم أثبتوا هذه الصفة، فلماذا لا نقول أنهم فهموا النص علي ما فسر ابن قتيبة لأن هذا ما تقتضيه لغة الصحابة وهم أدري الناس بها.

و لإلقاء مزيد من الضوء علي حجة من يفسر الحديث علي أنه إثبات صفة نسوق كلام الشيخ عبد العزيز الراجحي معلقاً علي الحديث وذاهباً إلي ما ذهب إليه الشيخ ابن الباز، قال: " وليس معناه كما قال ابن قتيبة فإنه فيه تأويل، أوله، قال: من تقرب إلي بالطاعة وأتاني بها، أتيت بالثواب، ها تأويل، ها من أثر الصفات.. من فسر التقرب من الله بالثواب، فقد فسر بالأثر، ولكن هذا التقرب الحقيقي، من تقرب إلي الله تعالى تقرب الله إليه، صفات حقيقية، وكذلك: (من أتاني بمشي أتيت هرولة)، مثل النزول ومثل العلو والاستواء كلها صفات تليق بمجالاته، معناها معروف في اللغة، معني المشي والهرولة معروف في اللغة، كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم، أما الكيفية، كيفية اتصاف الله تعالى بها فلا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى.

و القرب من صفات الله، ومن صفاته المعية، والقرب إلي الله يأتي خاصاً، وهو نوعان: قرب من الداعين بالإجابة، وقرب من العابدين بالإثابة<sup>(٦٥)</sup>.

قلت لا شكل أن المشي والهرولة معروف معناها في اللغة وهو المعني المعجمي، لكن أيضاً لا يأتي المشي دائماً في اللغة بمعني واحد إنما ينظر إلي تركيب الكلام، ففي الحديث السابق، (الماشي فيها خير من الساعي)، واضح أن المراد الاجتهاد في الفتنة وليس حقيقة المشي، فليس في كل نص يكون القائل أراد المعني الأصلي للكلمة، إنما يفهم من السياق أنه أراد فقط المعني الإجمالي.

و قد جاء في الكتاب " صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة" لعلي بن عبد القادر السقاف<sup>(٦٦)</sup>:

الهرولة صفة فعلية خبرية ثابتة لله عز وجل بالحديث الصحيح: الدليل: حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري ومسلم (( وإن أتاني بمشي، أتيت هرولة)) قال أبو إسماعيل الهروي في (الأربعون في دلائل التوحيد): باب الهرولة لله عز وجل، ثم أورد الحديث، وقال أبو إسحاق الحربي في (غريب الحديث) بعد أن أورد حديث أبي هريرة: قوله (( هرولة)): مشي سريع أه وقال أبو موسى المديني في (المجموع المغيث) في الحديث عن الله تبارك وتعالى: من أتاني بمشي، أتيت هرولة))، وهي مشي سريع، بين المشي والعدو أه. و هذا إثبات منهما رحمهما الله للصفة علي حقيقتها.

قلت: الاحتجاج بالحديث علي إثبات أن الهرولة صفة هو احتجاج بموضع النزاع وهو حديث فسر علماء من أهل السنة بخلاف ذلك، والاحتجاج بكلام الهروي في غير محله، لأنه وقع فيما وقعوا فيه من لتوسع في الإثبات دون التفات إلى السياق اللغوي، وإتباع ابن قتيبة في فهم النص أولي من إتباع الهروي، أما قول إسحاق الحربي والمديني فهما مثل غيرهما من اللغويين

يفسرون كلمة الهرولة في أصل اللغة (المعني المعجمي) ولم يفسروا النص بمجمله حسب السياق، فنقل كلامهم مع إغفال سياق تفسيرهم خطأ في طريقة الاستدلال في مسألة مهمة، والله تعالى أعلم.

## وفي الختام: أسجل النقاط التالية:

### وهي خلاصة البحث ونتائجه

- **السياق اللغوي:** هو " الوعاء النحوي والبلاغي الذي جاءت فيه الكلمة أو العبارة وهو يدل على المراد بالنظر إلى الأسلوب الذي اكتنف العبارة وما إحتفها من قرائن بالنظر إلى ما قبلها وما بعدها من الكلام".
- عند تفسير النصوص والاستنباط منها ينبغي الثبوت والتأكد من ظهور المعني بما يتلاءم مع السياق اللغوي، ولا ينبغي إقصاء تركيب الكلام ودلالته، فيفهم المعني بصورة متكاملة في ظل النص كله خاصة أن الكلمة الواحدة يتغير معناها في لغة العرب بحسب موقعها وطريقة إيرادها.
- إن إهمال البعد اللغوي في فهم النصوص يوقع في شناعات وسوء فهم، وبالتالي اعتقاد ما لم يرد به الشرع، فمن المناسب إعطاء اللغة وأساليب العرب في الخطاب حضوراً عند تفسير النصوص والاستنباط منها، حتى لا تقع في تشنيع الآخر ونسيء الفهم بحجة الإتيان والمشي على قاعدة واحدة.
- إن الأخذ بظاهر الكلام والتركيز على المعني المعجمي للكلمة هو سبب رئيس في تفسيرات خاطئة للنصوص، وسوء فهم لمراد الشارع نشأ عنه أقول شاذة، من ذلك شذوذ آراء الخوارج، وشذوذ آراء المشبهة، وشذوذ آراء الظاهرية في مسائلهم الفقهية، وغير ذلك من شواذ الآراء والمذاهب والاعتقادات المعروفة.
- إن الذين حرروا قاعدة الصفات وبينوا عقيدة السلف وناقحوا عنها كانوا على مقدار من التحقيق والتحرير بحيث لم يغفلوا أهمية السياق في فهم النصوص، وهو أمر لم ينتبه له بعض من يتكلم في تفسير النصوص من المعاصرين.

و الحمد لله رب العالمين.

## الهوامش

- (١)- صحيح البخاري، كتاب العلم، رقم ٦٩، صحيح مسلم، الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم ١٧١٩.
- (٢)- سنن أبي داود، كتاب العلم، باب نشر العلم، رقم ٣١٧٥، وسكت عليه، وسنن الترمذي، في العلم، باب الحث على تبليغ السماع، رقم: ٢٥٨٢، وقال: "حسن صحيح"، قلت: وهو حديث صحيح مشهور، من رواية زيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وغيرهما، وعدة بعض أهل العلم متواتراً.
- (٣)- صحيح مسلم، في كتاب المساجد، رقم: ٨١٢، من حديث أبي هريرة.
- (٤)- أستاذ كرسي السنة وعلومها، جامعة محمد الخامس، الرباط، والمعلومة المذكورة عن الورقة مأخوذة من موقع الرابطة المحمدية للعلماء/ [www.arrabia.ma,contenu.asp](http://www.arrabia.ma,contenu.asp) ولا يعرف هل طبعت هذه الدراسة أم لا؟
- (٥)- صادر عن دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦.
- (٦)- دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٧.
- (٧)- المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٧.
- (٨)- مقاييس اللغة، ط: ١١٧.
- (٩)- الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب المناقب، ذكر قحطان، رقم: ٣٢٥٦، ومسلم: في الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر.. رقم: ٥١٨٢، من حديث أبي هريرة. قال ابن حجر: هو كناية عن الملك، شبهه بالراعي وشبهه الناس بالغنم، ونكتة التشبيه التصرف الذي يملكه الراعي في الغنم، وهذا الحديث يدخل في علامات النبوة من جملة ما أخبر به صلي الله عليه وسلم قبل وقوعه، ولم يقع بعد (فتح الباري كتاب المناقب، باب ذكر قحطان: حديث رقم: ٣٢٥٦).
- (١٠)- صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمة النبي-صلي الله عليه وسلم- للنساء- الرقم: ٤٢٨٨.

(١١) - الحديث في الصحيحين: ففي صحيح البخاري: بإسناده عن أنس بن مالك: أن النبي -صلي الله عليه وسلم- كان في سفر، وكان غلام يحذو بمن يقال له أنجش، فقال النبي -صلي الله عليه وسلم-: (رويدك يا أنجش سوقك بالقوارير). قال أبو قلابه: يعني النساء، وفي رواية: (رويدك يا أنجشة، لا تكسر القوارير). قال قتادة: يعني ضعفة النساء، الجامع الصحيح، كتاب الأدب - ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه الرقم: ٦٢١٠: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمة النبي -صلي الله عليه وسلم- للنساء - الرقم: ٤٢٨٧.

(١٢) - هو جزء من حديث طويل رواه أبو هالة في وصف النبي -عليه الصلاة والسلام- وجاء فيه (.. جل نظره ملاحظة، يسوق أصحابه، يبدأ من لقي بالسلام..). أخرجه ابن حبان في الثقات ١٤٥/٢: والبيهقي في دلائل النبوة: ٢٨٦/١ وأورده الميثمي في مجمع الزوائد، وبين أن فيه مجهولاً، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع - رقم: ٤٤٧٠.

(١٣) - الحديث في صحيح البخاري نصه: (تمس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طويي آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة، وإن كان في الساقاة كان في الساقاة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع) صحيح البخاري، الجهاد والسير، باب الحراسة في سبيل الله، الرقم: ٢٨٨٧.

(١٤) - لسان العرب: مادة السوق.

(١٥) - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، تأليف ط ٤.

(١٦) - في حاشيته علي جمع الجوامع، ج ١/٣٢٠.

(١٧) - (يرجع في هذه التعاريف إلي: نظرية السياق: دراسة أصولية: نجم الدين زنكي، ط أولي، ٢٠٠٦، ص ٦٣.

أهمية اعتبار السياق في المجالات التشريعية وصلته بسلامة العمل بالأحكام - أعمال ندوة الرابطة المحمدية للعلماء.

السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة. لسعيد بن محمد) عن موقع [med.laaroussi.iffance.com.index](http://med.laaroussi.iffance.com.index)

(١٨) - صحيح البخاري، كتاب الزكاة: ذكر الخواص وصفاتهم، رقم ١٧٦١، صحيح مسلم - في الزكاة، ذكر الخواص، الرقم: ٨٢٢ (ورواية مسلم في سياق آخر، لكن بوجود الشاهد).

(١٩) - عبد الفتاح، نظرية السياق القرآني، ط ١، ص ٢٨١.

(٢٠) - الشافعي، الرسالة، ج ١/٦٢.

(٢١) - المرجع السابق، ج ٥٨ : ١.

(٢٢) - ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام، شرح عمدة الأحكام، ط ١، ج ١، ص ٢١٥.

(٢٣) - بدائع الفوائد، ج ٤/ ٩-١٠، ط أولي.

(٢٤) - ابن القيم، الروح، ص: ٨٤، وأنظر إعلام الموقعين ج ١/٨٧.

(٢٥) - الشاطبي، الموافقات في أصول الفقه، ج ٤/ ١١٧.

(٢٦) - حموده، دراسة المعني عند الأصوليين، ص ٢١٣.

(٢٧) - من حديث فاطمة بنت قيس: صحيح مسلم كتاب الطلاق، المطلقة ثلاثاً، رقم: ٢٧٠٩.

(٢٨) - وجدي، علم الأدلة، ٢٩-٥٠.

بواسطة: سالم خماش، موقع "إسلام ويب": مقال: السياق القرآني.

و أنظر في تفصيل هذه الطرق وغيرها: "مدخل إلي علم الدلالة الألسني" مورييس أبو ناضر، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، ع: ١٨٠١٩، آذار ١٩٨٢م.

بودرع، منهج السياق في فهم النص، كتاب الأمة، ع: ١١١.

(٢٩) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، رقم: و مسلم في فضائل الصحابة، رقم: ٤٦٢٠.

قال ابن قتيبة: ومعني الحديث أن الناس متساوون ليس لأحد منهم فضل في النسب، بل هم أشباه كالإبل المائة، وقال الأزهري: والمعني الذي ذكره ابن قتيبة غلط، بل معني الحديث أن الزاهد في الدنيا الكامل في الزهد فيها والرغبة في الآخرة قليل جداً كقلة الراحلة في الإبل، قال النووي: ها كلام الأزهري، وهو أجود من كلام ابن قتيبة، وأجود منهما قول آخرين أن معناه المرضي الأحوال من الناس الكامل الأوصاف الحسن المنظر القوي علي الأحمال والأسفار قليل، شرح النووي علي صحيح مسلم في تعليقه علي الحديث رقم: ٤٦٢٠ كتاب فضائل الصحابة - وأنظر: فتح الباري لابن حجر، ج ١٣/١٣٢.

و ذهب الطحوي إلي وجه آخر، فقال: يريد به خاصاً من الناس، وهم الذين لا غناء نعيم ولا منفعة عندهم لمن سواهم من الناس، كإبل مائة ليس فيها راحلة تحمل ما يحتاج الناس إلي حمله عنهم.. شرح مشكل الآثار: ج ٣/٤٩٣.

(٣٠) - رضا، أسرار البلاغة، ص: ٢١٣.

- (٣١) - حديث صحيح روي بألفاظ متقاربة، منها ما في صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب تفسير قوله تعالى (وكلوا وأشربوا حتى..). قلت: يا رسول الله، ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود، أهما خيطان؟ قال: (إنك لعريض القفا إن بصرت الخيطين). ثم قال: (لا، بل هو سواد الليل وبياض النهار). ٤١٥٠ وفي رواية أخرى في الصحيح: أخذ عدي عقلاً أبيض وعقلاً أسود، حتى كان بعض الليل نظر، فلم يستبيناً، فلما أصبح قال: يا رسول الله، جعلت تحت وسادي، قال: (إن وسادك إذاً لعريض: إن كان الخيط الأبيض والأسود تحت وسادتك) كتاب الصوم، باب قوله تعالى (وكلوا وأشربوا حتى يتبين..). رقم ١٧٨٣.
- و في صحيح مسلم - لما نزلت: (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) (٢/البقرة/ الآية ١٨٧). قال له عدي بن حاتم: يا رسول الله، إني أجعل تحت وسادتي عقالين: عقلاً أبيض وعقلاً أسود. أعرف الليل من النهار. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: - "إن وسادتك لعريض. إنما هو سواد الليل وبياض النهار". رقم: ١٠٩٠.
- و في رواية أخرى عند أبي داود - لما نزلت هذه الآية (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) قال أخذت عقلاً أبيض وعقلاً أسود فوضعتهما تحت وسادتي فنظرت فلم أتبين فذكرت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فضحك فقال إن وسادتك لعريض طويل إنما هو الليل والنهار وقال عثمان إنما هو سواد الليل وبياض النهار - (سنن أبي داود - رقم: ٢٣٤٩).
- (٣٢) - أسرار البلاغة، ٢٧٨.
- (٣٣) - ابن حجر، فتح الباري، ج ٤/٦٢٩.
- (٣٤) - البزار كما في كشف الأستار، ٨٦/١، والعقيلي في الضعفاء ١/١٠، وابن عبد البر في التمهيد (١/٥٩)، وهو حديث غير ثابت، جميع طرقه لا تخلو من مقال.
- (٣٥) - أسرار البلاغة، ٣٣٩-٣٤١.
- (٣٦) - الحديث في الصحيحين ولفظه: عن عائشة: (إن بعض أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - قلن للنبي - صلى الله عليه وسلم - : أينا أسرع بك لحوقاً؟ قال: أطولكن يداً، فأخذوا قصبة يذر عونها، فكانت سوده أطولهن يداً، فعلمنا بعد: أنما كانت طول يدها الصدقة، وكانت أسرعنا لحوقاً به، وكانت تحب الصدقة، الجامع الصحيح، في الزكاة، فضل صدقة الشحيح، رقم ١٣٣١، صحيح مسلم، رقم: ٢٤٥٢.
- (٣٧) - أسرار البلاغة، ٣٠٨.
- (٣٨) - سنن أبي داود، الجهاد، في السرية ترد علي أهل العسكر: رقم ٢٣٧١، وابن ماجه في الديات، المسلمون تنكافأ دموهم، رقم: ٢٦٧٣، والحاكم في المستدرک: رقم ٢٦٣٢، وقال: صحيح علي شرط الشيخين، والحديث صحيح له شواهد.
- (٣٩) - المرجع السابق، ٣٠٨.
- (٤٠) - صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعرج الملائكة والروح فيه، حديث رقم ٦٩٩٣، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم ١٠١٤.
- (٤١) - أسرار البلاغة، ٣١٥.
- (٤٢) - القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، عن الموسوعة الشاملة، ج ١/٩٨.
- (٤٣) - أبو بكر الخلال، كتاب السنة، والدارقطني في كتاب الصفات، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة.. نقلاً عن مكحول والزهرى ولثوري والليث والأوزاعي وغيرهم (نقلها موقع إسلام ويب - قسم الفتاوى).
- (٤٤) - صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الذكر والدعاء.. برقم ٤٨٥٢ من حديث أبي ذر الغفاري.
- (٤٥) - صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ويحذركم الله نفسه، وصحيح مسلم برقم ٢٦٥٧ من حديث أبي هريرة.
- (٤٦) - صحيح البخاري، كتاب التوحيد، بابذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - وروايته عن ربه.
- (٤٧) - الإبانة عن شريعة الفرق الناجية، ط ٢، ج ٣/٣٣٧.
- (٤٨) - ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص: ٣٢٧.
- (٤٩) - صحيح ابن خبان، بترتيب ابن بلبان، ط ٢، ج ٣/٩٤.
- (٥٠) - العراقي، طرح الشرب في شرح التقريب، ج ٨/ص ٢٢٢.
- (٥١) - صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (سترون بعدي أموراً تنكرونها) رقم: ٦٥٣١ وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، رقم: ٣٤٣٨.
- (٥٢) - أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في قتال الخوارج، رقم: ٤١٣١، والترمذي، كتاب الأمثال عن رسول الله، رقم: ٢٧٩٠، وقال حسن صحيح، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه.
- (٥٣) - صحيح البخاري: كتاب الفتن، باب تكون فتنة، رقم: ٦٥٥٤ صحيح مسلم، الفتن، وأشراط الساعة رقم: ٥١٣٦.
- (٥٤) - صحيح مسلم برقم ٥١٣٧.
- (٥٥) - فتح الباري، كتاب الفتن، باب تكون فتنة.

دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد ٣٨، العدد ١، ٢٠١١

(٥٦) - كتاب العبودية، ٣٩/١ (عن الموسوعة الشاملة). ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ط الأولى، ج ٢٠٥/٥.

(٥٧) - سيأتي بعد قليل ذكر بعضهم.

(٥٨) - صحيح البخاري، أبواب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل - حديث رقم: ١٠٩٤.

صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل حديث رقم: ٧٥٨.

(٥٩) - في شرح العقيدة السفارينية تحت شرح: وكل ما يطلب فيه الجزم، فمنع تقليد

بذلك حتم أنظر موقع ابن عثيمين: [www.ibnothaimeen.com,all,books,article](http://www.ibnothaimeen.com,all,books,article)

18167.stm

و أنظر : موقع ملتقي أهل الحديث.

(٦٠) - موقع أهل الحديث، [www.ahlalhadeeth.com,vb,archive,index](http://www.ahlalhadeeth.com,vb,archive,index).

(٦١) - موقع الشيخ عبد العزيز بن باز، [www.imambinbazorg.mat](http://www.imambinbazorg.mat).

(٦٢) صحيح مسلم، كتاب الاستسقاء، باب الدعاء، في الاستسقاء حديث رقم: ٨٩٨.

(٦٣) - مسند أحمد، حديث رقم: ٢٦٧٦٩ عن خوله بنت حكيم، وسنده فيه انقطاع بين عمر بن عبد العزيز وخوله بنت حكيم ورواه أحمد والبيهقي في الأسماء والصفات من

حديث يعلي بن مرة، برقم ٩٦٥ ج ٣٨٩/٢ قال الهيثمي: و رجالهما ثقات، (مجمع الزوائد ٤٨٨/٩) فالحديث صحيح لغيره.

(٦٤) - قال البيهقي: الوطأة المذكورة في هذا الحديث عبارة عن نزول بأسه به، وأسد البيهقي في الأسماء والصفات ٠ ج ٣٨٩/٢ برقم: ٩٧٦ عن عثمان بن سعيد الدارمي، قال:

سمعت علي بن المديني، يقول في حديث خوله، رضي الله عنها، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - " إن آخر وطأة بوج" قال: سفيان: إنما هو آخر خيل الله بوج : قال الدارمي:

وألوح: مدينة الطائف، ونقل ابن قتيبة والبيهقي عن أهل العلم أن هذا مثل حديث (اللهم أشدد وطأتك علي مضر).

أنظر : ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث، ج ٢١٣/١.

(٦٥) - موقع جامع شيخ الإسلام ابن تيمية، [www.taimiah.org](http://www.taimiah.org).

مقال المختار في أصول السنة/ للشيخ عبد العزيز الراجحي.

(٦٦) - ص: ٣١٤.

## المصادر والمراجع

الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، دار الراية، الرياض، ط ٢، تحقيق عثمان عبد الله آدم، ١٤١٨.

ابن دقيق العيد إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، (المتوفى ٧٠٢م) تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى ومدرثر سندس، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م، مؤسسة الرسالة، ط ١.

الجرجاني، أسرار البلاغة.

البيهقي، عبد الله بن محمد الحاشدي، الأسماء والصفات، مكتبة السواددي، جدة، الطبعة الأولى.

ابن القيم ، إعلام الموقعين.

ابن القيم، بدائع الفوائد، دار الفكر، دمشق، ط أولى.

تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، المكتب الإسلامي، دار الإشراف، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩ م.

التمهيد، ابن عبد البر، الطبعة المغربية، ط ١.

ابن حبان البستي، الثقات، دار الفكر، ط ١ تحقيق: السيد شرف الدين أحمد ، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥.

البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، تحقيق مصطفى ديب البغا، ١٤٠٧.

جامع الترمذي، تحقيق أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

العثيمين، الجواب المختار لهداية المختار.

حاشية العطار علي جمع الجوامع: ج ١/٣٢٠، (عن الموسوعة الشاملة).

البيهقي، دلائل النبوة، (عن الموسوعة الشاملة).

الروح، ابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥.

سنن أبي داود السجستاني، تحقيق الدعاس، ط ١.

مستدرك الحاكم، ط دار المعرفة (مصورة).

- الصحيح المسند، مسلم بن الحجاج، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي.  
 صحيح ابن حبان، تحقيق الأرنؤوط، ط ١.  
 العقبلي، الضعفاء الكبير، تحقيق قلنجي، ط ١.  
 العبودية، ابن تيمية، أبو العباس، (عن الموسوعة الشاملة).  
 ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، دار المعرفة، بيروت، ط ١، تحقيق: حسنين محمد مخلوف.  
 فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩.  
 كشف الأستار، ٨٦/١.  
 لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، ط ١.  
 نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.  
 مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ط ١.  
 إبراهيم مطفي، المعجم الوسيط، وآخرون، مجمع اللغة العربية، ط ثالثة.  
 الشاطبي، الموافقات في أصول الفقه، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: عبد الله دراز.  
 موقع "إسلام ويب": مقال: السياق القرآني، سالم خماس.  
 مدخل إلى علم الدلالة الألسني "موريس أبو ناضر، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، ع: ١٨-١٩، آذار ١٩٨٢م.  
 عبد الرحمن بودرع، منهج السياق في فهم النص، كتاب الأمة، ع: ١١١، المحرم ١٤٢٧هـ.  
 مجلة الواضحة العدد ٤-٢٠٠٨، دار الحديث الحسنية- الرباط د. أحمد الحملشي.  
 عبد الفتاح، المثني، نظرية السياق القرآني، دار وائل للنشر، عمان، ط ١.

## مواقع إنترنت:

- موقع الدرر السنية [dorar.net/enc/hadith](http://dorar.net/enc/hadith)  
 ملتقى أهل الحديث [www.ahlalhadeeth.com](http://www.ahlalhadeeth.com)  
 موقع ابن عثيمين:  
[www.ibnothaimeen.com/all/books/article\\_18167.shtml](http://www.ibnothaimeen.com/all/books/article_18167.shtml) -  
 موقع الشيخ عبد العزيز بن باز، [www.imambinbaz.org/](http://www.imambinbaz.org/)  
 موقع الفلاح  
 موقع شبكة الأثري، [www.alathary.net/vb2/showpost](http://www.alathary.net/vb2/showpost)  
 موقع الرابطة المحمدية للعلماء/ المغرب  
[www.arrabita.ma/contenu.asp](http://www.arrabita.ma/contenu.asp)  
[med.laaroussi.iffance.com/index](http://med.laaroussi.iffance.com/index)  
 موقع جامع شيخ الإسلام ابن تيمية. [www.taimiah.org](http://www.taimiah.org)

## The Linguistic Context and its Influence over the Prophetic Narration (Hadeeth) Comprehension

Yasir A. Shamali \*

### ABSTRACT

The study tackled the importance of placing a considerable care for the linguistic context, so that we can have an accurate and sound understanding to the prophetic narration. The study

\* Faculty of Shari'a, University of Jordan. Received on 22/6/2009 and Accepted for Publication on 11/2/2010.

shows that the context is a general conception which could mean many things such as knowing what comes after and before the text and the linguistic style of the text on the words structuring and organizing level where the position of words and the manner of expression is considered. The prophetic scriptures came through one of the most articulated men in the Arabian Peninsula. and here the significance of the linguistic competence and the linguistic appreciation in texts comprehension takes place. It is worth mentioning that the scholar demonstrates the efforts of the Imam Gargani in pointing out and shedding light over this part of the study; moreover, the scholar mentioned an applicable example of a prophetic narration (Hadeeth) that whoever wants to demonstrate what has come in, he will need the knowledge of the linguistic context of that (Hadeeth) by comparing it with equivalent narrations in the prophetic traditions, but without losing the sight of taking care of misunderstanding the texts due to ignoring the linguistic context.

Keywords: The Linguistic Context, Al-Hadith.